

Parts of the day and their contextual implications in the Holy Qur'an

Zaher Mohammad Hanani

Al-Quds Open University || Palestine

Abstract: This research deals with (The Day divisions and their linguistic connotations in The Holy Qur'an). At the introduction the researcher showed the research significance and its general elements. Next, a preface with the title (Before the start) showed the dimensions of this research, its origins and its intrinsic motives. Then, it presented night and day in terms of their concept, essence and origin. After that showed the sections of the day mentioned in the Holy Quran, which are seventeen sections, some of which overlap and group into one section; making it difficult to distinguish between them, indicating their individual linguistic connotations and importance of to the human being.

The research concludes the findings; the most significance of these results is that the division of the day was neither an absurd nor random division, and every assignment mentioned in the Holy Quran is commensurate with the psychological and physiological state of human being and suits with what he was assigned to do. Which proves that this Qur'an is nothing but a revelation.

Keywords: The day. The Day Divisions. Contextual Semantics. The Holy Quran.

أقسام اليوم ودلالاتها السياقية في القرآن الكريم

زاهر محمد حناني

جامعة القدس المفتوحة || فلسطين

المستخلص: تقوم فكرة البحث على معرفة الأبعاد السياقية لأقسام اليوم في القرآن الكريم، وهدف إلى تحليل دلالاتها وفق سياقاتها القرآنية، وقد جاء في مقدمة، بينت أهمية البحث وعناصره العامة، ثم توطئة بعنوان (قبل البدء) بينت أبعاد هذا البحث وأصوله ودوافعه الذاتية والموضوعية، ثم عرض لمبحثين عامين؛ الأول عن الليل وعرض أقسامه، والثاني عن النهار، وعرض أقسامه، فالليل والنهار من حيث المفهوم والماهية والأصل والخلق. وعرض بعد ذلك لأقسام اليوم الوقتية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي في خمسة عشر قسمًا، تداخل بعضها وجمع في قسم واحد؛ لصعوبة الفصل بينها، مبيّنًا فيها دلالاتها السياقية وأهمية كل منها للإنسان، وذيل البحث بخاتمة بينت النتائج التي توصل إليها. وأهم تلك النتائج: أن تقسيم اليوم لم يكن تقسيمًا عبثيًا ولا عشوائيًا، وكل تكليف ورد في القرآن الكريم يتناسب مع الحالة النفسية السيكلوجية والفيسيولوجية للإنسان، ويتناسب مع السياق الذي ورد فيه. وقد استعان البحث بالمنهج الوصفي التحليلي؛ لملاءمته لطبيعة موضوع البحث.

الكلمات المفتاحية: اليوم، أقسام اليوم، الدلالات السياقية، القرآن الكريم.

مقدمة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم، بمتك وفضلك يا أرحم الراحمين، آمين.

ما زال البحث في القرآن الكريم مفتوحاً على مصراعيه، وسيظل كذلك إلى ما يشاء الله؛ لأن الحياة تتطور وتتجدد وتتغير، ويظل القرآن الكريم صالحاً لكل زمان ومكان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء/ 9). وهو الذي ارتضاه الله تعالى ليكون هادياً وبشيراً ونذيراً فقال -عز من قائل-: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)، بل امتاز بالإحاطة والشمول، فقال الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام 38).

يحاول هذا البحث الوقوف عند أقسام اليوم الوقتية، ودلالاتها السياقية، كما وردت في القرآن الكريم، وبين الفروق بينها، في سياق ما يكلف به الإنسان في كل جزء منه، ويحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل السياق في كل جزء من أجزاء اليوم مرتبط بدلالة ذلك الجزء واستعداد الإنسان لأدائه؟ وما مقدار الفائدة التي تعود عليه مادياً ومعنوياً ودينيًا؟ وما أهمية اللغة في بيان تلك الدلالات؟ وتأتي أهمية هذا البحث في بيان دقة التعبير القرآني فيما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا وفي الآخرة، وذلك بتقسيم اليوم إلى أجزاء، في كل جزء ما يحقق احتياجه ومتطلبات وجوده.

وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين عامين موزعين على سبعة عشر جزءاً، معها تقسيمات اليوم الواردة في القرآن الكريم، فبين مواضعها ومعانيها وارتباطها بسياقها. المبحث الأول عرض لأقسام الليل والمبحث الثاني عرض لأقسام النهار. وبدأ بهذه المقدمة وذيل بخاتمة بينت النتائج التي توصل إليها. واستعان الباحث بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يصلح أن يكون طريقاً يوصل إلى النتائج المرجوة منه. اجتهدت في هذا البحث؛ فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي، والله تعالى دائماً أعلى وأعلم بمراده.

قبل البدء:

منذ أن كنت طفلاً راودتني أفكار كثيرة عن الزمن، فهل حسابات الزمن واحدة؟ وهل حسابات المكان واحدة؟ ولماذا قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: 4) وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: 5) لا شك أن ذلك يدعو إلى التفكير في خلق الله. وكنت أفكر -بسذاجة الطفل- آنذاك: هل حجم الأشياء في عين الإنسان كحجمها في عين النملة؟ إن يوماً كخمسين ألف سنة هو مقياس مفتوح، ولكنه حين صار اليوم كألف سنة حصر ذلك فيما يعدُّه البشر (مما تعدون)، وأكدته الآية الكريمة (بيان): "وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" (الحج: 47). ربط علماء الفيزياء في العصر الحديث كما فعل محمد راتب النابلسي بين المسافة والزمن عن طريق ربطها بسرعة الضوء والنظرية النسبية، فقال النابلسي: "المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض مضروباً في (12) مضروباً في (1000) يساوي سرعة الضوء الدقيقة، {299792458 م/ث}، أي أن المسافة التي يقطعها القمر حول الأرض في ألف عام مقسومة على ثواني اليوم يقطعها الضوء في يوم واحد، فالיום عند الله كألف سنة مما تعدون" (1) ورأى بسام جرار أن (خمسین ألف سنة) هي منازل المعارج التي تنتقل فيها الملائكة والروح حتى تصل إلى المكانة التي يأذن بها الله تعالى (2)، ويربط العثيمين ذلك بنسبته إلى يوم القيامة، لأن الآية تتحدث قبل ذكر (خمسین ألف سنة)

(1) - النابلسي، محمد راتب: الإعجاز القرآني، برنامج تلفزيوني، على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=O7RvXWcVeR8>

(2) - جرار، بسام: تفسير الآية، على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=3tEjtE9Sic4>

عن عذاب واقع⁽³⁾. وربط أبو زيد بين (ألف سنة) بأنها الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض، بينما (خمسين ألف سنة) بأنها من أيام القيامة⁽⁴⁾. ورأيت تكاملاً في هذه الأقوال ولم أر تعارضاً، واستوى عندي الأمر، حتى بات يتعلق بقدرتي (أنا الإنسان) على استيعاب هذا الحجم الكبير جداً من الأرقام؛ لأدرك مؤخراً أن الله - سبحانه وتعالى - منّ علينا بقدرة عقلية تناسب احتياجاتنا الإنسانية، ودوال على إمكانية التفكير في أبعاد لن نتصوّر من بلوغها كلها، ولكنها دوافع للتفكير المستمر، ويمكن أن ندرك منها ما يأذن به - جل شأنه - بل لقد استوعبت أبعاد قول الرسول ﷺ: "لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"⁽⁵⁾.

قَسَمْتُ أجزاء اليوم إلى خمسة عشر جزءاً؛ وذلك لأنها مذكورة في القرآن، وهي تلتقي في كثير مع ما ذكره أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) في كتابه (فقه اللغة) حيث قسم ساعات النهار إلى: "الشُّرُوقُ، ثُمَّ الْبُكُورُ، ثُمَّ الْغُدُوءُ، ثُمَّ الضُّحَى، ثُمَّ الْمَهَاجِرَةُ، ثُمَّ الظَّهِيرَةُ، ثُمَّ الرَّوَّاحُ، ثُمَّ الْعَصْرُ، ثُمَّ الْقَصْرُ، ثُمَّ الْأَصِيلُ، ثُمَّ الْعَثِي، ثُمَّ الْغُرُوبُ. وَسَاعَاتِ اللَّيْلِ إِلَى: الشَّفَقِ، ثُمَّ الْغَسَقِ، ثُمَّ الْعَتَمَةُ، ثُمَّ السُّدُفَةُ، ثُمَّ الْفَحْمَةُ، ثُمَّ الزُّلَّةُ، ثُمَّ الزُّلْفَةُ، ثُمَّ الْهَيْرَةُ، ثُمَّ السَّحَرُ، ثُمَّ الْفَجْرُ، ثُمَّ الصُّبْحُ، ثُمَّ الصَّبَاحُ"⁽⁶⁾. أما ما ورد منها في القرآن الكريم فيمكن تقسيمه وفق الشكل التقريبي الآتي:



الجدول من إعداد الباحث وهو تقريبي

(3) - العثيمين، محمد بن صالح: تفسير الآية، على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=yBnPgNriacc>

(4) - أبو زيد، فوزي محمد: برنامج أسئلة حائرة على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=SQF5NznfQLA>

(5) - الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط/2، 1395 هـ - 1975 م، (أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (4/ 560)، برقم: (2320)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/ 299)، برقم: (686).

(6) - الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، لبنان، ط/2، 2000، ص348-

وهي أقرب ما وجدته في تراث العرب إلى التقسيم المعاصر بالساعات الزمنية التي هي أربع وعشرون ساعة. ومما أثير عن العرب أنهم كانوا يبدؤون اليوم بالليل، ثم النهار، وهنا فسوف أرتبها بالبدء بالحديث عن الليل والنهار ثم ترتيب الأقسام، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: الليل

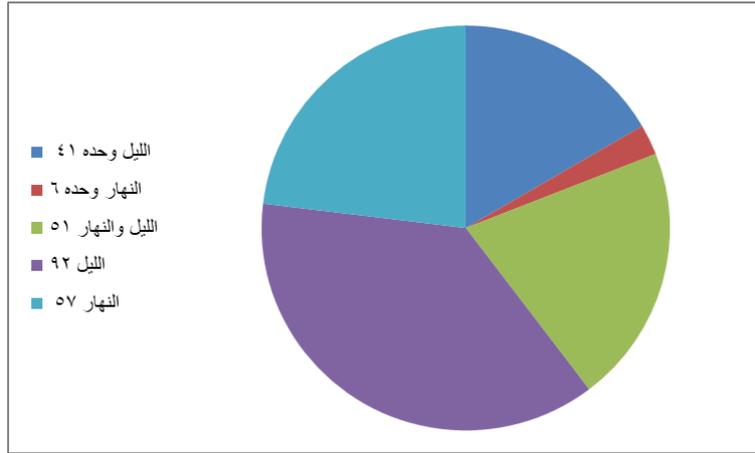
أولاً: الليل والنهار..

الظلمة هي الأصل في الكون، فلا غرابة أن نجد سورة في القرآن باسم (الليل) ولا نجد سورة باسم النهار، دلالة على أن النهار تابع لليل، وما وقت الليل إلا جزء من تلك الظلمة التي خلقها الله تعالى، تأكيداً لمجموعة من الحقائق الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم من قبل أن يتوصل العلم الحديث إلى إثباتها، فتصير شواهد علمية مستقاة من تبادل الليل والنهار، ومنها: تأكيد كروية الأرض، تأكيد دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، تأكيد أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في المراحل الأولى كانت أسرع مما هي عليه الآن، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 54) في قوله يطلبه حثيثاً (سريعاً) وهي الآية التي تتحدث عن بداية الخلق، ثم تأكيد سبج الأرض في مدارها حول الشمس، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: 33)، تأكيد الرقة الشديدة لطبقة النهار في الغلاف الغازي لنصف الأرض المواجه للشمس، فقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ نَسَلُحُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: 37)، الليل هو الأصل الكبير (نسلخ- كما في جلد الشاة الذي هو جزء صغير من الشاة) والنهار هو الجزء، ثم تأكيد دقة الحساب الزمني بواسطة كل من الليل والنهار والشمس والقمر، الإشارة إلى أن ليل الأرض كان في بدء الخلق يُنار بعدد من الظواهر الكونية، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْجَسَابِ وَكُلِّ شَيْءٍ فَصَلَّنَا تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء: 12)⁽⁷⁾.

بالاستعانة بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم⁽⁸⁾، لفت انتباهي ورود لفظ اليوم (406 مرات) في القرآن الكريم كله، وورود لفظ الليل وحده دون ارتباطه بالنهار (41 مرة)، وورود لفظ النهار وحده دون ارتباطه بالليل (6 مرات)، وورود لفظي الليل والنهار معا (51 مرة). وعموماً فقد ورد لفظ الليل (92) مرة، وورد لفظ النهار (57) مرة. وقد أخفقت في إيجاد علاقة بين هذه الأرقام، وربما يُسجّر الله هذا الأمر لباحث آخر.

(7) - ينظر، النجار، زغلول: الليل والنهار في القرآن الكريم، مقال على موقع حراء، تاريخ الأخذ 2021/3/20، على الرابط: <https://hiragate.com>

(8) - عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الريان للتراث، القاهرة، 1987، مادة (ليل) ومادة (نهار).



جدول من إعداد الباحث يبين ورود الألفاظ الدالة على الليل والنهار في القرآن الكريم

لم أستطع حصر دلالات الأرقام وعلاقة بعضها ببعض، من خلال كونها أرقاماً فقط، ونستطيع أن نتبين أن دلالات ذكر الليل أكثر من النهار يؤشر على أن الليل أصل والنهار فرع في أصل الخلق، ودلالات ورود الليل والنهار معا تؤشر أيضاً بوضوح على استحالة فصل تكليف الإنسان بما خُلِقَ لأجله من عمله في الليل عن عمله في النهار، بل إن أبواب السماء مفتوحة في الليل والنهار لقبول عمل الإنسان. ونستطيع أن نتبين هذه الحقائق من خلال استعراض بعض الأمثلة من كلام الله تعالى، وهي أمثلة دالة بوضوح، وليست بقية المواضع زائدة وتكراراً لا دلالات فيها -حاشا لله- بل إن كل موضع له دلالاته وأهميته.

من الأمثلة التي ورد فيها ذكر الليل وحده قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: 113) ونلاحظ ارتباط الليل بالسجود في كثير من المواضع، لذا قيل إن جملة (وهم يسجدون) جاءت حالاً من الضمير في يتلون⁽⁹⁾، وإذا ما ربطنا الأمر بكون الإنسان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، نتبين أن هدوء الليل وسكينته تناسب سجود العبد لربه. وقد ربطت آيات كثيرة بين السجود والليل، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ (الزمر: 9)، ويناسب التهجد أيضاً، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ (الإسراء: 79) وقيل في التَهَجَّد: "التهجد ترك النوم للصلاة، وفيه خلاف بين أهل اللغة؛ فقيل هو النوم، وقيل التهجد مشترك بين النائم والمصلي، وقال ابن الأعرابي: تهجد صلى من الليل، وتهجد نام، وهو قول أبي عبيد والليث، ووزن تفعل يأتي للسلب نحو تحرج وتائم وتحوب وفي الأساس: وهجد الرجل هجوداً وتهجد: ترك الهجود للصلاة (فَتَهَجَّدْ بِهِ) ويات فلان متهجداً: متوحداً، وهجدنا مكننا من الهجود، قال لبيد: قال هجدنا فقد طال السرى ... وقد رنا إن خنى الدهر غفل. وفي القاموس والتاج: «الهجود النوم بالنهار والهجوع النوم بالليل والتهجد صلاة الليل»⁽¹⁰⁾. وكما في الآيات من السور (ق: 40) و(الطور: 49) و(الإنسان: 26) وغيرها، وقد خص الله تعالى الليل أكثر من النهار، ففيه أسرى بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وفيه نزل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (الإسراء: 1). ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: 1-2-3).

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر النهار وحده قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (المزمل: 7)، فإذا كان جُلُّ الليل للعبادة والراحة والنوم، فإن جل النهار للعمل، وفيه متسع من الوقت (سبحاً طويلاً)، ليتمكن الإنسان من

(9) - العكبري، عبد الله بن الحسين أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1976، ص 286. ويشير إلى جواز عدها مستأنفاً.

(10) - الدرويش، محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج/5، اليمامة دار ابن كثير دار الإرشاد، ط/3، 1992. ص 485.

توفير متطلباته، فقال تعالى: "وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا" (النبا: 11)، فالأصل في النهار أن يكون لتوفير سبل العيش ومتطلباته، وفي المقابل فإنه لو جعل الوقت كله نهارا، لاستحال العيش على الإنسان؛ لذا يقول جل شأنه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (القصص: 72). وهكذا لم ترد كلمة النهار مفردة إلا لبيان خصوصية النهار، كما في الآيات: (آل عمران: 72) و(يونس: 45) و(يونس: 50) و(الأحقاف: 35).

واللافت في هذا كله ورود لفظي الليل والنهار مقترنين؛ الأمر الذي نجده غالبا في القرآن الكريم، وأول ما يلفت الانتباه تداخلهما؛ فقال تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (آل عمران: 27)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ (الأعراف: 54). فهذا التداخل يبين الترابط العميق بين الليل والنهار، من خلال الألفاظ الدالة على هذا التداخل (تولج) و(يغشي). وفي المقابل هناك تكليف يناسب السياق لا يختلف وقت أدائه في الليل أو النهار، فقرن سبحانه الليل والنهار معا لبيان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه: 130)، ليعين أن التسبيح وإن كان فضله كبيرا في الليل إلا أنه في أطراف النهار له أجر كبير أيضاً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُكُوعًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود: 114)، ففضل الصلاة في طرفي النهار كبير أيضا كفضله في أوقات من الليل. أما في قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: 12) فيؤكد نعمة الله على خلقه بمخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها،⁽¹¹⁾ وهذا يؤشر بوضوح على أن علامة الليل تُمعى بحضور النهار. وربط القرآن الكريم بين علامات أخرى بارزة ليل والنهار، فقال تعالى: ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (لقمان: 29) و(فاطر: 13) ومثل هذا تأكد في (إبراهيم: 33) فللنهار علامة بارزة وهي وجود الشمس فيه، كما لليل علامة بارزة هي وجود القمر فيه. وقد ذهب العرب إلى تقسيم الليل إلى: أول العشاء وآخر العشاء، ثم الهدوء، فالوهن والهزيع، ثم العسعس، ثم الغسق والغطش والدجى والسجى، فجون الليل وجوزه، فجبهة الليل، ثم السحر، فالفجر الكاذب.⁽¹²⁾

إن دلالة ارتباط الليل بالنهار من العلامات التي خلقها الله تعالى للبشر وسائر مخلوقاته؛ ليمكنوا جميعا من العيش والعبادة وأداء التكليفات التي تحقق غايتين: الأولى في الدنيا، وهي العيش بطريقة تحقق الغاية الإنسانية، والثانية في الآخرة وهي نيل جزاء العمل الحق في الجنة. لهذا كله كان ورود اللفظين بصور متعددة وكثيرة في القرآن الكريم، وكلها دوال شاهدة على أبعاد تلك الغايات مع تعالقها السياقي، كما في الآيات: (الرعد: 3) و(الحج: 61) و(الفرقان: 47) و(يس: 37) و(يونس: 6، 24)... وغيرها كثير.

1- الشفق...

الشفق ليس وقتا، وإنما هو وصف لوقت، فهو: "بقية ضوء الشمس وحُمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وقال الخليل: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الأخير، فإذا ذهب، قيل: غاب الشفق، وقال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب كأنه الشفق، وكان أحمر"⁽¹³⁾، ولأنه يحتل حيزا زمانياً، فإننا ندرجه ضمن تقسيمات اليوم، بل يمكن أن نبدأ اليوم به. وقد ورد لفظ الشفق مرة واحدة في القرآن الكريم، ولكنه

(11) - ينظر، الطبري: تفسير الطبري، ص238.

(12) - ينظر، ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل: الأزمنة والأنواء، تح: عزة حسن، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط/2، 2006، صص105-107.

(13) - الرازي: مختار الصحاح، مادة (شفق).

دال على أهمية كبرى، لذا أقسم الله تعالى به فقال -عز من قائل:- ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّقَقِ﴾ (الانشقاق: 16) وإن صح أن الشفق هو دال شروق الشمس وغروبها، فيصح أن نقول إن الله تعالى يقسم ببديع خلقه ومنه الليل والنهار بدال واحد يشير إليهما معا، أو أن الله تعالى يقسم بانتهاء النهار وبدء الليل. دلالة هذا القسم وسياقه يبين الدعوة للتفكير ببديع خلق الله وإعجازه.

2- الغسق..

أوردت معاجم اللغة معاني متقاربة للغسق، فجاء في لسان العرب، الغسق: غَسَقُ الليل: ظلمته، وقيل أول ظلمته، وقيل غَسَقُهُ إذا غاب الشَّقَقُ. وأغسَقَ المؤدّن أي أحرّ المغرب إلى غَسَقِ الليل⁽¹⁴⁾. وجاء في مختار الصحاح: الغَسَقُ أول ظلمة الليل وقد غَسَقَ الليل أظلم⁽¹⁵⁾. والغسق عند الفيروز آبادي: ظُلْمَةٌ أَوَّلُ اللَّيْلِ⁽¹⁶⁾ وبدا لم تختلف المعاجم في كون الغسق مرتبطا بوقت أول الليل، أو أول ظلمته. وردت لفظة الغسق وبعض اشتقاقها في القرآن الكريم في أربعة مواضع، في الموضع الأول يشير إلى العلاقة الوقتية بين النهار والليل. فقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ (الإسراء: 78) ودلوك الشمس يعني غروبها، وغسق الليل يعني أول الليل، والأمر بإقامة الصلاة في هذا الوقت تكليف بالحفاظ على الصلوات التي تأتي في هذا الوقت وهي صلوات المغرب والعشاء، وتشمل بقية الآية أيضا صلاة الفجر (قرآن الفجر)، هذا يعني أن الصلاة في الليل لها أهمية خاصة، أما إذا ذهبنا إلى أن معنى الدلوك الزوال⁽¹⁷⁾ فإن هذا الأمر يشمل جميع الصلوات أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. وفي هذه الحالة يعني (أمر إقامة الصلاة) الاهتمام باستمرار إقامة الصلاة في الليل والنهار. أما في الموضع الأخرى فالأمر مختلف: تبعا للسياقات الواردة فيها؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (الفلق: 3) يشير إلى إقبال الليل أيضاً، إذ أمر الله تعالى بالاستعاذة من شره وشر ما فيه على اختلاف التفسيرات، كما أمر بالاستعاذة من كل شر. وفي الموضعين الآخرين ورد بصيغة التفضيل (غساق) والغساق وإن اشترك مع الغسق في الجذر إلا أن المعنى يشير إلى أمر مختلف، ففي قوله تعالى: ﴿هُذَا فَلْيَدُّوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ (ص: 57) وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (النبا: 25) الغساق: قيل: هو ما سال من صديد أهل جهنم، وقال آخرون: ما يسيل من صديدهم، أو ما يسيل من بين جلده ولحمه، وما يسيل من نتهم. وقال آخرون: الغساق: الزمهرير. إن الغساق: هو الزمهرير، وهو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلا؟ قيل: إن البرد الذي لا يُستطاع ولا يُطاق يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد⁽¹⁸⁾. فليست هناك علاقة مباشرة بين الغسق والغساق.

3- السحَر..

السحَر: قبيل الصبح، هكذا ورد في معاجم اللغة، والسحَر والسحَر: آخر الليل قُبَيْلُ الصبح، والجمع أسحار⁽¹⁹⁾. وقد ورد هذا الوقت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، واحد منها مفرد والأخران على صيغة الجمع، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (القمر: 34) وهو وقت نجات آل

(14) - ابن منظور: اللسان. مادة (غسق).

(15) - الرازي: مختار الصحاح، مادة (غسق).

(16) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (غسق).

(17) - ينظر، ابن منظور: اللسان، (غسق)

(18) - ينظر، الطبري: التفسير، ص582.

(19) - ابن منظور: اللسان. مادة (سحر).

لوط، وفي قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: 17) وقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: 18)، وقد أشار المفسرون إلى أن المستغفرين بالأسحار هم المصلون أو المستغفرون في صلاتهم، وكلها تشير أن هؤلاء تركوا النوم في هذا الوقت الذي يعز فيه النوم، ويغلب على الإنسان فيه النعاس، إلا أن فضل هذا القيام عظيم عند الله، رحمة منه ببني البشر، فالله تعالى لم يخلق الأشياء عبثاً، بل إن العبادة العظيمة في هذا الوقت فيها فائدة كبيرة للإنسان، وتعود عليه بالنفع، ومما بات معروفاً في الأبحاث الطبية وعند المختصين في هذا المجال أن القيام من النوم وتحريك أعضاء الجسم والقيام ببعض التمارين أو الحركات مثلاً، فيها علاج لكثير من الأمراض، إذ تحفز هذه الحركات على إفراز هرمون الكورتيزول الذي يعمل على الوقاية من زيادة السكر في الدم، ويقلل من ارتفاع ضغط الدم الذي تنجم عنه بعض الأزمات القلبية، كما يفيد في تحسين ليونة المفاصل وحركتها، للأشخاص الذين يعانون من التهابات الغضاريف⁽²⁰⁾. فسبحان الذي خلق كل شيء وفصله تفصيلاً، ليست الغاية إلا نحن، ونحن الهدف، في العبادة زيادة صحة، وزيادة أجر، وثواب عظيم.

- تشير الآيات التي ورد فيها ذكر وقت السحر إلى أهمية هذا الوقت في جانبين؛ الأول: أهمية لصحة الإنسان. الثاني: أهمية الأجر العظيم الذي فيه ينزل الله إلى السماء الأولى يسأل من يستغفر، فيغفر له. بل لقد ورد في الأثر ما يؤكد أن من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة، كتب من المستغفرين بالأسحار.

4- الفجر..

الفجر في اللغة ضوء الصباح وهو حُمْرة الشمس في سواد الليل، وهما فَجْران: أحدهما المُسْتطِيل وهو الكاذب الذي يسمى ذَنْبَ السَّرْحان، والآخر المُسْتطِير وهو الصادق المنتشر في الأفق الذي يُحَرِّم الأكل والشرب على الصائم ولا يكون الصبح إلا الصادق. الجوهري: الفجر في آخر الليل كالشَّفَق في أوله. ابن سيده: وقد انْفَجَرَ الصبح وتَفَجَّر وانْفَجَرَ عنه الليل. وأفَجَرُوا: دخلوا في الفجر كما تقول: أصبحنا، من الصبح⁽²¹⁾. لهذا الوقت أهمية خاصة أيضاً، الأمر الذي يؤكد قسم الله -تعالى- به في قوله تعالى: "والفجر" (الفجر: 1) وهو وقت فيه يتصل السلام؛ لقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: 5) إذ تفيد (حتى) انتهاء الظرفية الزمانية، ويرى الرازي أن المقصود بالفجر في الآية الكريمة، فجر كل يوم وليس فجر يوم محدد، بخلاف ما ورد في أقوال بعض المفسرين، من أن المقصود فجر يوم النحر، أو غيره من الأيام الفاضلة، التي ذكرها⁽²²⁾، وإن من أجل العبادات (الصيام) مرتبطة بوقت الفجر أيضاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة: 187)، وإن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن الكريم يكون مشهوداً؛ أي أن ملائكة الليل والنهار يشهدونها، فظهرت لها خصوصية وفضل في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: 78) لتؤكد أهمية هذا الوقت، كما في قوله تعالى أيضاً: ﴿مَنْ قَبِلَ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ﴾ (النور: 58).

(20) -ينظر، عوض، إسلام: تُنشط الخلايا بجسم الإنسان .. من أسرار صلاة الفجر، مقال على موقع بوابة الأهرام، تاريخ الأخذ: 25-3-2021، على الرابط:

<https://gate.ahram.org.eg/News/1831247.aspx> وفيه تقرير عن دراسة أجراها علماء في المركز القومي للبحوث.

(21) - ينظر، ابن منظور: اللسان، مادة (فجر).

(22) ينظر، الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين محمد: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، 148/11.

يتبين لي أن الدلالة السياقية هذا الوقت تحمل أبعاداً مهمة، أولها ارتباط هذا الوقت بنهاية استراحة النوم، والبدء بعمل جديد أوله عبادة، وثانيها اقتراب العبد من ربه مع اقتراب الله من عباده، وثالثها تجديد الحياة واستقبالها من جديد.

5- الصبح، الصباح، الإصباح...

وقت الصبح والصبح واحد؛ فالصُّبْحُ: أوَّلُ النهار، والصبُّحُ: الفجر. والصبَّاحُ: نقيض المساء، والجمع أصبَّاحٌ، وهو الصَّبِيحَةُ والصبَّاحُ والإصبَّاحُ والمصبُّحُ؛ قال الفراء: إذا قيل الأَمْسَاءُ والأصبَّاحُ، فهو جمع المساء والصبُّحُ، قال: ومثله الإِبْكَارُ والأَبْكَارُ؛ وقال الشاعر: أَفْتَى رِيحاً وَذَوِي رِيحٍ، تَنَاسَخُ الإِمْسَاءِ والإِصبَّاحِ. يريد به المساء والصبُّحُ.⁽²³⁾ وردت دلالات الصبح في القرآن الكريم تحمل معاني البدء، بعد هدوء وركود ونوم وراحة، أو بعد كسل واستسلام، يأتي الصبح وقد خرج من بين ركام الموت المؤقت، فيعبر القرآن المعجز عن هذا الانتقال والتحول بقوله تعالى: " وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿المدثر: 34﴾ أو بقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿التكوير: 18﴾، فيخيل إليك هذه الحياة الوديدة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياها، وهو يتنفس، فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء، على وجه الأرض والسماء" ⁽²⁴⁾ وردت كلمة الصبح في القرآن الكريم في ستة مواضع، ووردت كلمة الصباح مرة واحدة، وكلمة الإصباح مرة واحدة أيضاً، ودلالات ورود الصبح تأكيد أبعادها في كل موضع، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحِ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿هود: 81﴾ وقت الصبح الذي تتبدل فيه الأحوال، ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿القمر: 38﴾، وقوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿العاديات: 3﴾. كما يبين أن الإصباح (الجمع) متغير؛ فكل يوم جديد يحمل عملاً جديداً وتكليفاً جديداً، بينما النوم والسكون إلى الليل وفيه، واحد، فلا تتغير ماهية النوم بكونه نوماً، بينما تتغير ماهية كل صباح بما فيه من جديد، فقال تعالى: ﴿قَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴿الأنعام: 96﴾. وعندما أراد أن يصف حالة واحدة من حالات الصباح المتغيرة أضافه إلى ما يدل على تلك الحالة، بما فيها من سوء، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿الصفوات: 177﴾. ووردت كلمات دالة على الصبح بصيغ الأفعال وليس الأسماء، لتشير كل واحدة إلى دلالة موضعها واندغامها بسياقها، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿آل عمران: 103﴾، وكأن الصباح إذا ارتبط بالفعلية فإنه يحمل أحد وجهين؛ إما الخير وإما عكسه، فإذا كان في الخير كما في الآية السابقة، فإنه بفضل الله ونعمته، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴿الحج: 63﴾، وإذا كان عكس ذلك فإنه من فعل الناس، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿المائدة: 30﴾ وفعل القتل من الشر الذي يؤدي إلى أن يكون صاحبه من الخاسرين، ودلالة الوقت الفعلية هي نتاج عمل الإنسان، وهذا معناه أن على الإنسان أن يقوم بفعل الخير دائماً؛ كي يكون صباحه دائماً صباح خير. ومما يؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿المائدة: 53﴾، وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿الشعراء: 157﴾، وقوله تعالى: "وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا" (الكهف: 42).

- تشير دلالات هذه الآيات بشكل قاطع إلى أن ارتباط وقت الصبح بالفعلية يدل على أحد أمرين: إما ما يقدمه الإنسان من خير فيجده خيراً بجزء من الله، وإما ما يقدمه الإنسان من شر فيجده شراً، وهو جزء ما اقترفت يداها.

(23) - ينظر، ابن منظور: اللسان، مادة (صبح).

(24) - قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، مصر، ط/17، 2004، ص73.

ولارتباط الصريم بالليل والنهار معا وتحديد الصباح، أثرت أن أشير له هنا بوصفه جزءاً من اللَّيْلِ أو قِطْعَةً مِنْهُ، ففي معاجم اللغة: الصَّرِيمُ، الليل المظلم، والصريم أيضا، الصباح، وهو من الأضداد⁽²⁵⁾، ولعل ارتباط هذين الوقتين في آية واحدة ووحيدة يدل على شدة تداخلهما معا، فقال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (القلم: 20)، والتشبيه بالكاف هنا مؤداه أن الأشجار أصبحت كسواد الليل المظلم المهيم،⁽²⁶⁾ وقيل: مثل الزرع إذا حصد أي هشيماً يبساً، وقيل غيره.

6- الفلق...

الفلق في اللغة هو الصباح، أو ما انفلق من عموده، أو الفجر، وهناك معان أخرى للفلق ليست لها علاقة مباشرة مع هذا المقام، (كالخلق كله، وجهنم أو جُبُّ فيها، والمطمئن من الأرض بين ربوتين). أما فلُق الله الفجر فمعناه: أبدأه وأوضحه. ويقال الفلُق بيان الحق بعد إشكال.⁽²⁷⁾ وقد "كان إطلاق الفلق على الموجد، باعتبار أن العقل يتصور من العدم ظلمته المتصلة، لا انفراج فيها ولا انفلاق، فمتى أوجد الشيء تخيل الذهن أنه شق ذلك من العدم وفلقه، وأخرج ذلك المبدع"⁽²⁸⁾. وردت لفظة الفلق مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق: 1) ومع ما أورده المفسرون من معان للفلق في السورة⁽²⁹⁾، إلا أننا هنا نقف عند ما ذكره آخرون من أنه الصباح، أو وقت انفلاق الفجر من الليل، لذا هو في هذا المقام وقت. وسواء أكان هذا أو ذاك، فإن الله -تعالى- طلب من نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يستعيز بالله من شر ما خلق في هذا الوقت.

7-8- الغروب والشروق..

يرتبط وقتا الشروق والغروب بطلوع الشمس وغروبها، فالشروق هو وقت طلوع الشمس، ويرتبط بظهور الشمس على الأفق نتيجة الحركة اليومية الظاهرية، وهو الشروق الحقيقي (الاحتراقي) الذي يشاهد فيه نجم الصباح مع شروق الشمس في كبد السماء، وهناك الشروق الظاهري الذي لا تظهر فيه الشمس. كما يرتبط وقت الغروب بأفول الشمس وغياها غيبا حقيقيا، وهو الغروب الحقيقي الذي يشاهد فيه نجم الغروب ولا تشاهد فيه الشمس. ولم ترد لفظة (شروق) مفردة هكذا في القرآن الكريم؛ لارتباط وقت الشروق بالمكان الذي يكون منه الشروق، ووقت الغروب بالمكان الذي تغرب فيه الشمس، فوردت دوال الشروق مثلا، على النحو الآتي: (مشرق (7مرات)، مشرقين (مرتين)، مشارق (3مرات)، إشراق (مرة)، أشرقت (مرة)) ومشرق يحتوي كل ما له علاقة بالشروق من حيث الزمان والمكان؛ لهذا -والله أعلم- جاء تكرار (مشرق) سبع مرات أي بعدد البقية كلها التي هي (7=1+1+3+2). قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: 115) فهذا الزمان وهذا المكان كله لله، ولم يرد أمر من الله بتأدية نسك في هذا الوقت، بل كانت الآيات كلها تؤكد نسبة هذا الوقت لله تعالى، بل إن التسبيح الواجب كان قبل الشروق وقبل الغروب وليس في وقت الشروق أو الغروب، فقال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق: 39). أما المشرق والمغرب فهما لله، فقال عز من قائل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي

(25) - الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مادة (صرم).

(26) - ينظر، الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تج: بشار عواد وعصام فارس، مؤسسة الرسالة، ط/1، مج/7، 1994، ص348.

(27) - ينظر، ابن منظور: اللسان، مادة (فلق).

(28) - الألوسي، شهاب الدين محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، ب. ت، 437/5.

(29) - ينظر الطبري، وقد أورد أحاديث مختلفة تشير إلى أن الفلق سجن أو مكان أو جُبُّ أو بيت في جهنم.

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة: 142﴾، كما ارتبط ذكر المشرق مع المغرب، والمشارك مع المغرب، والمشرقيين مع المغربين، فقال تعالى: "رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ" (الرحمن: 17)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (الأعراف: 137)، أما الإشراق فقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص: ١٨)، فلم ترتبط لفظة الإشراق بلفظة الإغراب مثلا، بل ارتبطت بما يوازها وقتيا وهو (العشي)، كما لم ترتبط لفظة أشرقيت بأغربيت؛ لأنها ارتبطت بالأرض وليس بالوقت، فقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ (الزمر: 69) وهو الموضوع الوحيد الذي لم ترتبط فيه لفظة تدل على الشروق بأي دال من دوال الغروب في الآية نفسها. كما وردت لفظة غربت مفردة دون ارتباط بالشروق بل ارتبطت بطلوع الشمس في موضع واحد، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ تَغْرِبُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ (الكهف: 17)، كما ارتبطت لفظة غروب بطلوع على هذا النحو، فقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه: 130)، ووردت لفظة مغرب مفردة أيضا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف: 86)، وهو الموضوع الوحيد في القرآن الكريم الذي لم ترتبط به لفظة تدل على الغروب بأي لفظة من دوال الشروق في الآية نفسها. ومما ورد فيه ذكر المشرق والمغرب أيضا قوله تعالى: "لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" (البقرة: 177)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: 258)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء: 28)، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصفافات: 5)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ (الزخرف: 38)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَنَاقِدِرُونَ﴾ (المعارج: 40)، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمل: 9).

ولأن الزلفة وقت يرتبط بالشروق والغروب آثرت أن أشير إليه هنا، إذ وردت اللفظة في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ (هود: 114) والزلفة: الطائفة من أول الليل، والجمع زلف، وزلف الليل ساعات من أوله، وقيل هي ساعات الليل الأخذة من النهار وساعات النهار الأخذة من الليل، ومعنى زلفا من الليل: الصلاة القريبة من أول الليل.⁽³⁰⁾ وقيل "ساعات منه قريبة من النهار"⁽³¹⁾. وقيل أن المقصود "صلاة الزلف صلاة الصبح والمغرب والعشاء"⁽³²⁾ وقيل "الصلاة في الساعات القريبة من النهار"⁽³³⁾.

• وفي هذا المقام لا بد من بيان الفرق بين الشروق والإشراق، يقال: شَرَقَتِ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ، وَأَشْرَقَتْ إِذَا أَضَاءَتْ، فَإِنْ أَرَادَ الطُّلُوعَ قَالَ: حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَإِنْ أَرَادَ الإِضَاءَةَ قَالَ: حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَالإِضَاءَةُ مَعَ الارتفاع⁽³⁴⁾، وقد كان التعبير القرآني مفرقا بينهما على هذا النحو؛ ففي الآيتين الأتيتي الذكر (ص: 18، و الزمر: 69) ذكر الإشراق ليدل على الإضاءة مع الشروق، وليس شروق الشمس فقط.

(30) - ابن منظور: اللسان، مادة (زلف).

(31) - الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر حسين عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ص536.

(32) -القرطبي، محمد بن أحمد بن فرج: الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد عبد العليم البردوني، ط/2، دار الشعب، القاهرة، 1372هـ، 110/9.

(33) - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، 1972، 131/3.

(34) - ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مادة (شرق).

المبحث الثاني: النهار

1- الإيكار - البكرة..

البُكرة في معاجم اللغة: الغُدوة، أول النهار إلى طلوع الشمس، وجمعها إيكار، وورد في القاموس المحيط أن اسمها إيكار⁽³⁵⁾. وقد وردت في القرآن الكريم مفردة في سبعة مواضع، منها خمسة نكرة وموضعان معرفة، وجمعا في موضعين، المفرد كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 11) طلب التسبيح، وارتباط بكرة بعشي، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 62) وقت للحصول على الرزق، وارتباط بكرة بعشي، وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 42) ارتباط الوقت بالتسبيح، كما في قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: 9) والذكر كما في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الانسان: 25) والذكر والتسبيح معا كما في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرِ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: 41) فوردت معرفة وجمعا، ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَتَمِ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر: 55). أما المواضع الأخرى التي ورد ذكرها فيه فهي ليست مرتبطة بنوع من العبادات، وإنما ارتبطت بأشياء أخرى: الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: 5) وقد جاءت لبيان الوقت في ادعاء القائلين، لدلالة التكرار. أما الموضع الأخير ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ (القمر: 38) ذلك جزاء بما كانوا يعملون. أيضا لبيان وقت العذاب. وجاءت نكرة كي لا يتحدد يوم معين، ويؤكد المعنى قوله تعالى (مستقر) أي دائم غير منقطع.

- تجمع المواضع التي وردت فيها كلمة بكرة مفردة وجمعا أن خير ما يؤديه الإنسان لنفسه في هذا الوقت، وقت بدء النهار، هو التسبيح والذكر، مع أن هذا الوقت هو وقت بدء العمل للحصول على الرزق، ليصبح المعنى مرتبطا بالنشاط الذي يبدأ به الإنسان يومه، كي يكون رزقه مباركا فيه، وما كان عكس ذلك فله عذاب مبكر دائم.

2- الغداة..

الغداة وقت ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، الغُدوة: البُكرة، كالغداة والغديّة، جمعها: غدواتٌ وغديّاتٌ وغدايا وغدوٌّ، أو لا يقالُ غدايا إلاّ معَ عشايا. غدا عليه غُدوًا وغُدوةً، واغتدى: بَكَرَ.⁽³⁶⁾ وجاء في اللسان قوله: "الغُدوة، بالضم: البُكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. وغُدوةٌ، من يومٍ بعينه، غير مُجرّاة: عَلِمٌ للوقت. والغداة: كالغُدوة، وجمعها غَدَوَات. التهذيب: وغُدوة معرفة لا تُصَرَّفُ: قال الأزهري: هكذا يقول، قال النحويون: إنها لا تُنَوَّن ولا يدخل فيها الألف واللام، وإذا قالوا الغداة صَرَفُوا، قال الله تعالى: بالغداة والعشيّ يريدون وجهه؛ وهي قراءة جميع القراء إلا ما زوي عن ابن عامر فإنه قرأ بالغُدوة، وهي شاذة. ويقال: أتيتُه غُدوةً، غير مصروفةٍ، لأنها معرفة مثل سحر، إلا أنها من الظروفِ المُتمكّنة، تقول: سير على فرسك غُدوةً وغُدوةً وغُدوةً، فما نُونٌ من هذا فهو نكرة، وما لم يُنَوَّن فهو معرفة، والجمع غُدئ. ويقال: أتيتك غداةً غدٍ، والجمع الغدواتُ مثل قِطَاةٍ وقِطَوَاتٍ. الليث: يقال غدا غَدُكُ وغدا غَدُوكُ، ناقصٌ وتامٌ".⁽³⁷⁾

(35) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (بكر).

(36) - الفيروز آبادي: المحيط، مادة (غدو).

(37) - ابن منظور: اللسان، مادة (غدو).

ورد ذكر هذا الوقت في القرآن الكريم في ثمانية مواضع؛ اثنان منها بالفعلية، ولم ترتبط بوقت آخر، بل ارتبطت ببدء العمل في هذا الوقت، وما يرافق ذلك من همة ونشاط، فقال تعالى: ﴿أَنْ اٰغْدُوا عَلٰى حَرْثِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰرِمِيْنَ﴾ (القلم: 22) بفعل الأمر، ولما تم لهم الأمر قال تعالى واصفاً بفعل تم (ماض): ﴿وَعَدُّوا عَلٰى حَرْدٍ قٰادِرِيْنَ﴾ (القلم: 25) في السورة نفسها، للموقف نفسه، ولم ترد بهذه الصيغة في غير هذين الموضوعين.

ووردت تفيد الظرفية في ستة مواضع، كلها مرتبطة بأوقات أخرى، وفي كل موضع دلالة خاصة، فلا تكرار في القرآن إلا لغاية، ففي وصف أهل النار قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: 46)، فارتبطت بالعشي، وبه ارتبطت أيضا في موضعين آخرين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (الأنعام: 52)، وسبقت الإشارة إلى أهمية هذا الوقت ومرتبطاته، كما في قوله تعالى أيضا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (الكهف: 28). ووردت مرتبطة بوقت الأصيل جمعا في ثلاثة مواضع؛ أحدها في قوله تعالى: "وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" (الأعراف: 205) وفي الموضوعين الآخرين، ربط الله تعالى الغدو والآصال بالسجود، فقال تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلٰلًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد: 15)، وربطهما بالتسبيح أيضا، فقال عز من قائل: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: 36).

• نتبين مما فات أن هذا الوقت مقرون بالعمل، سواء أورد بالفعلية أم بالظرفية، فالوقت للعمل، وعمل الخير ينتج خيرا لصاحبه، والعبادة تكليف من الله لجميع خلقه، وكما يعمل الإنسان، يجازى بمثل عمله.

3- الضحى..

الضحى وقت في أول النهار يمتد إلى الظهرية. وضحى النهار: ضحاه، أي ارتفاعة في مُنتصفِ النهار، وضحو الشمس: ارتفاعة ضحوه النهار ضحوه الشمس، ضحاه؛ إذا قرب انتصاف النهار⁽³⁸⁾، وهو وقت مهم للإنسان؛ ففيه ذروة العمل والإنتاج، وقد أقسم الله تعالى بهذا الوقت مرتين؛ لتأكيد أهمية وقت الضحى، بما فيه من بركة، وفيه صلاة الضحى، التي إن صلاها العبد بسط الله له في رزقه، وأحسن الله له في عمله، ووسعه له توسعة عظيمة، والضحى هو وقت صدر النهار. قال تعالى: ﴿وَالضُّحٰى﴾ (الضحى: 1)، فقيل أن الضحى هنا هو وقت الضحى، قبل انتصاف النهار، حين تكون الشمس قد وضحت تماما، وقيل أن الضحى هنا هو النهار كله، لما يقابله من ذكر الليل في قوله تعالى: ﴿والليل إذا سجي﴾ (الضحى: 2)⁽³⁹⁾ وربط أيضا بين الضحى والشمس في الموضوع الثاني، فقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (الشمس: 1)، بإضافة الضحى إلى الشمس، لتأكيد ارتباط هذا الوقت بوضوح الشمس في السماء، وضحى الشمس كما يقول الطبري: نهارها⁽⁴⁰⁾، ليتبين لنا أن أهمية وقت الضحى تتجلى في أمرين كانا سببا في القسم بهذا الوقت، الأول: أهميته في العمل والعطاء والإنتاج، والثاني: تعبيره عن اليوم كله، وكأن من يعمل في هذا الوقت، كأنه عمل النهار كله. ويرتبط عمل الضحى في جانب آخر بما يقدمه الإنسان في أي وقت سابق، فإذا قدم خيرا وجد خيرا، وإذا قدم شرا لقي بأسا، فقال تعالى: ﴿أَوْأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحٰى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأعراف: 98) وفي موضع آخر أشار القرآن الكريم إلى أهمية هذا الوقت عند الناس جميعا، في إنجاز أوضاع الأعمال، فموعد موسى -عليه السلام- مع فرعون وسحرته كان في هذا الوقت من النهار، فقال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحٰى﴾ (طه: 59)، بل إن هذا الوقت في وضوحه يقابل ظلمة الليل، فقال تعالى: "وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ

(38) - ينظر، مجد الدين، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، 1410هـ، مادة (ضحو).

(39) - ينظر، الطبري: تفسير الطبري، السابق، ص 537.

(40) - ينظر، الطبري: تفسير...، ص 527.

ضُحَاهَا﴾ (النازعات: 29) ويقابل أيضا بين هذا الوقت الذي يمتد من أول النهار، بوقت آخر يمتد في آخر النهار وهو العشي، فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: 46).

• يتبين لنا أن دلالة هذا الوقت من النهار مرتبطة بأهميته في العمل والعطاء والإنجاز، ومرتبطة بالوضوح في الدلالة والأهمية.

4- الظهرية..

الظهر وقت انتصاف النهار، وهو ساعة الزوال، فقد جاء في المحيط: ظهْرُ: ساعةُ الزَّوالِ. ظهيرةٌ: حدُّ انتصافِ النهارِ، أو إنما ذلك في القَيْظِ⁽⁴¹⁾. ولم تختلف معاجم اللغة في تحديد معنى الظهر، ففي اللسان أيضا: الظُّهُرُ: ساعةُ الزوال، ولذلك قيل: صلاة الظهر، وقد يحذفون على السَّعة فيقولون: هذه الظُّهُرُ، يريدون صلاة الظهر. وكذا في الصحاح: الظهر، بالضم، بعد الزوال، ومنه صلاة الظهر. والظُّهيرةُ: الهاجرة. يقال: أتيتَه حدَّ الظُّهيرةِ وحين قامَ قائمُ الظُّهيرةِ. وفي الحديث ذكر صلاة الظُّهْرِ: قال ابن الأثير: هو اسم لنصف النهار، سمي به من ظهيرة الشمس، وهو شدة حرها، وقيل: أُضيفت إليه لأنه أَظْهَرَ أوقات الصلوات للأبصار، وقيل: أَظْهَرُهَا حَرًّا، وقيل: لأنها أَوَّلُ صلاة أُظْهِرت وصليت. وقد تكرر ذكر الظُّهيرةِ في الحديث، وهو شدة الحرّ نصف النهار، قال: ولا يقال في الشتاء ظهيرة. ابن سيده: الظهيرة حدّ انتصاف النهار، وقال الأزهري: هما واحد، وقيل: إنما ذلك في القَيْظِ مشتق⁽⁴²⁾.

إذا كان العمل يبدأ من الصباح ويؤتي مراده، فإن للإنسان أن يستريح ولو استراحة خفيفة، بأثر التعب الذي يلحق به في عمله، ونتيجة شدة الحر في أيام الصيف الحار، وهذا الوقت يكون في منتصف النهار، لذا قال تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظُّهيرةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (النور: 58)، إنه وقت مستقطع للراحة، وهي راحة يحتاجها الإنسان، ورأفة الله تعالى بعباده فوق ما يتصوره الإنسان.

• ورد ذكر الظهرية في القرآن الكريم مرة واحدة، ولكنها دلالة واضحة قاطعة، ربطت بين الوقت وما ينبغي أن يقوم به الإنسان فيه.

5- العصر..

العصر وقت من أوقات آخر النهار، وهو الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس، صَلَاةُ الْعَصْرِ [يؤنثُ مع الصلاة، وبغيرها يذكّر ويؤنثُ]، وَالْعَصْرَانِ: الغداةُ والعشيُّ، والنهارُ والليلُ. وَالْعَصْرُ الدَّهْرُ، الْعَصْرُ الزَّمَنُ ينسب إلى مَلِكٍ أو دولة، أو إلى تطوّرات طبيعية أو اجتماعية؛ عصرُ الدولة العباسية، وعصرُ هارون الرشيد، والعصر الحجريّ، وعصر البخار والكهرباء، وعصر الذرّة⁽⁴³⁾. الْعَصْرُ الدهر وكذا الْعَصْرُ وَالْعَصْرُ مثل عُسْرٍ وَعُسْرٌ قال امرؤ القيس: وهل يعمن من كان في العصر الخوالي. والجمع عَصُورٌ، وَالْعَصْرَانِ الليل والنهار، وهما الغداة والعشي، ومنه سُميت صلاة الْعَصْرِ⁽⁴⁴⁾.

ورد ذكر العصر في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى مقسمًا: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر: 1) فقد أقسم الله تبارك وتعالى، في كتابه، بالعصر، الذي هو الزمان، وسعى به سورة من سور القرآن، وذلك: لأن الزمان تقع فيه حركات الإنسان، من خير وشر، وطاعة ومعصية، وإقبال على الله وإدبار، فبسببه أطلع العبد ربه أو عصاه، وبسببه

(41) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (ظهر).

(42) - ابن منظور: اللسان، مادة (ظهر).

(43) - ينظر، مجموعة: المعاني الجامع، مادة (عصر).

(44) - ينظر، الرازي: مختار الصحاح، مادة (عصر).

دخل الجنة التي أعدت للمتقين، أو النار التي أعدت للغاوين. وإظلام وإسفار، وحر وبرد، وغنى وفقير، وأمن وخوف، فتدل هذه التصاريف، على وجود الله تبارك وتعالى، وسعة علمه، وعظيم قدرته، وأنه المعبود الحق، الذي لا معبود يستحق العبادة سواه. ولأن الزمان مخلوق من مخلوقات الله، تبارك وتعالى، والله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه⁽⁴⁵⁾.

- وسواء أكان العصر المُقسَم به، هو الوقت في آخر النهار، أم الدهر وما هو في معناه، فإن دلالة ذلك تشير إلى أهمية الوقت لخالق الوقت، وخالق كل شيء. فالإنسان في خسر إن لم يؤد ما أمره الله تعالى به.

6- الأصيل..

ورد معنى الأصيل في معاجم اللغة ومنها لسان العرب⁽⁴⁶⁾: أنه وقت العشي، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وقد وردت في الشعر العربي بهذا المعنى، كما في قول النابغة:

وقفت فيها أصيلاً كي أسائلها عيئت جواباً وما بالربيع من أحد

وقيل (أصيّلاً) على الجمع والتصغير كما ورد في الصحاح⁽⁴⁷⁾.

في القرآن الكريم وردت كلمة (الأصيل) في أربعة مواضع مفردة، كلها مرتبطة بالإبكار (بكرة)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 42) وكما في قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: 9) وفي قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الإنسان: 25) وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ اٰكْتَنَبَهَا فَوَيْ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: 5). نلاحظ أن أمر الله تعالى في هذا الوقت جاء بأفعال الأمر (سيح، اذكر) في ثلاثة مواضع، وسبقت في الأحزاب بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 41) لتأكيد ارتباط التسيح بالذكر. وقد وردت تأكيداً بالجمع مرتبطة (بالغدو) كما في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ (النور: 36)، وكما في قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 205) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ (الرعد: 15).

- خير ما يقوم به الإنسان في هذا الوقت هو الذكر والتسبيح والسجود. ولاحظ أن هذه العبادات خفيفة غير مرهقة ولا تحتاج إلى جهد بدني كبير، لأن الإنسان في هذا الوقت يكون قد فرغ من عمله اليومي، وربما يكون مرهقاً.

7- العشاء، العشي..

فرق المحيط بين العشي والعشاء والعشوة، وأعدت ترتيبها لتكون على النحو الآتي: عَشِيٌّ وَعَشِيَّةٌ: آخِرُ النَّهَارِ، جَمْعُهَا: عَشَايَا وَعَشِيَّاتٌ. عِشَاءٌ: أَوَّلُ الظَّلَامِ، أَوْ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعَتَمَةِ. عَشْوَةٌ: الظُّلْمَةُ، كَالْعَشْوَاءِ، أَوْ مَا بَيْنَ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى رُؤْعِهِ. وقد رأى أن العشاء قد يعبر به عن الوقت من زوال الشمس إلى طلوع الفجر⁽⁴⁸⁾. وقد ورد ذكر هذا الوقت في القرآن الكريم بصيغتين في موضعين اثنين: الأول: عِشَاءٌ، ليدل به على الوقت من المغرب إلى العتمة، فقال تعالى:

(45) ينظر، ابن طوق، عمار: "والعصر".. قسم له مدلولات عظيمة، مقال على موقع (البيان)، تاريخ الأخذ 2021/3/15، على الرابط:

<https://www.albayan.ae/supplements/ramadan/quran/2014-07-19-1.2166881>

(46) - ابن منظور: اللسان، مادة (أصل).

(47) - الفارابي: الصحاح، مادة (أصل).

(48) - الفيروز آبادي: المحيط، مادة (عشي).

﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (يوسف: 16)، كما تشير الآية الثانية إلى الوقت الثاني من أوقات الاستراحة الطبيعية للإنسان مع اقتران الوقت بصلاة العشاء، فقال تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (النور: 58).

أما الصيغة الثانية الدالة على هذا الوقت فقد وردت في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، تشير كلها إلى آخر النهار، مرة بربطها مع الظهر، ويربط بينهما حاجة الإنسان إلى الاستراحة كما مر آنفاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: 18)، ونلاحظ أن دلالة التعبير مرتبطة بواجب حمد الله ابتداءً (وله الحمد) وتقديم لفظ العشاء على الظهر، وربما جاء هذا للتدليل على أن يوم العرب كان يبدأ من الليل ثم النهار. ومرة أخرى بربطها بالإشراق، وذكر واجب التسبيح، فقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص: 18). فالجبال لها علاقة بالعشي والإشراق لأن أول ما تشرق الشمس يكون إشراقها على الجبال، فتسبح الجبال أولاً، ولهذا قدم ذكر الجبال على ذكر الإنسان في التسبيح لأنها تسبح قبله. ومرة بربطها بحادثة سليمان-عليه السلام- مع الخيل، لا بوقت، وللعشي دلالة في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ (ص: 31) ولم أجد أحداً أشار إلى أهمية الوقت الذي اختاره الله -تعالى- هنا مع عرض القصة، فإضافة إلى أن الحادثة وقعت في هذا الوقت، فإن العشي الذي هو آخر النهار، من الأوقات المحببة للإنسان؛ لما فيه من هدوء وراحة واستجمام، فليس فيه قيظ الظهيرة، ولا برد الليل، والصفافنات من الخيل: القائم على ثلاثة قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، سماها القرآن الكريم ذلك وهي تقف على ثلاث وترفع الرابعة في حركة إيقاعية جميلة. وفي قوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (ص، آية: 33). أي: طفق يمسح أعراف الخيل وسوقها بيده حباً لها. وقوله: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ متصلاً بقوله ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ﴾، أي: بعد أن استعرضها وانصرفوا بها لتأوي إلى مزاودها. قال: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ إكراماً لها ولحمها، وكان هذا العرض في غاية الجمال، والروعة، والبهجة، مما زاد سليمان -عليه السلام- حباً لها وإعجاباً بجمالها وحسن عرضها، فقال: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، والخير هنا: الخيل⁽⁴⁹⁾. وفي موضع آخر ربط العشي بوقت الغداة، فقال تعالى: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: 46). فكما يكون الخير وتكون الراحة في أول النهار وآخره، كذلك يكون العذاب في النار. فمن يقدم خيراً يجد خيراً. أما عند ربط وقت العشي بالإبكار فقد قرنهما الله تعالى بواجب الاستغفار للذنوب والتسبيح والحمد، فقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر: 55). وفي موضع آخر قرن فيه بين العشي والإبكار مع الإكثار من الذكر مع التسبيح، فقال تعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: 41). وربط بين العشي مع إفراده وتنكيره (عشية) مع الإبكار، فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: 46) لدلالة عدم التكرار بالإفراد والتنكير. وربط القرآن الكريم بين الغداة والعشي في موضعين، مع الذين يدعون ربهم؛ لبيان أهمية الدعاء في هذين الوقتين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (الأنعام: 52)، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (الكهف: 28). كما ربط بين العشي و(بكرة) في موضعين أيضاً، الأول ربطه بالتسبيح، فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 11)، والثاني في السورة نفسها ربطه بذكر الرزق والأمن، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 62).

(49) - ينظر، الصلابي، علي: "الصفافنات الجياد".. رسالة إعجازية وسبق قرآني في سلوك الحيوان، مقال على موقع الجزيرة، تاريخ الأخذ:

https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/25/، على الرابط: 2021/3/15

- إن دلالة ذكر العشاء والعشي في هذه المواضع من القرآن الكريم، ربطها بواجبات تناسب هذه الأوقات، كالذكر والتسبيح والحمد والشكر، مع ما يناسبها من الفضل من الله تعالى للإنسان.

خاتمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

لم يكن هذا البحث وليد لحظة، بل كان نتاج تفكير طويل امتد منذ الطفولة الساذجة، أو البريئة، وسار في مسارب متعددة، حتى استوى على هذا النحو، وما زال الباب مفتوحاً لمزيد من التفكير في حيثياته. وقد أردته ميسراً، واجتهدت في الأمر، وأسأل الله أن أكون قد وفقت. وأن يكون هذا الجهد بداية لمشوار يبتهل إلى الله أن يكون لنيل رضاه، ضمن مجموعة الأبحاث التي أنجزتها في القرآن الكريم.

تناول هذا البحث أقسام اليوم ودلالاتها السياقية في القرآن الكريم، وخلص إلى النتائج الآتية:

- اليوم وقت مخلوق، يرتبط بقدرة الإنسان على الشعور به، واستيعاب معطياته والتفاعل معها، ولم يخلق الوقت عبثاً، ولا يتجاوز قدرة الإنسان على أداء مهامه الموكلة إليه من خالقه -عز وجل-، لذا كان اليوم عند الله مرتبطاً بخالقه. وعند الإنسان مرتبطاً بقدرة الإنسان، فلو كان الليل سرمدياً أو النهار كذلك، لما تمكن الإنسان من التعايش معه أو أداء متطلباته. * الليل والنهار قسما اليوم، وتكليف الإنسان في كل قسم منهما مرتبط بطبيعة الإنسان النفسية والمادية والمعنوية، فما يمكن أن يؤديه في الليل ببسر، قد لا يستطيع أن يؤديه في النهار، والعكس بالعكس، والليل له مهامه والنهار كذلك.
- كل قسم من أقسام الليل مرتبط بمهمة كُلفَ بها الإنسان، تحقق له الراحة وأداء حق الله -تعالى- بما يستطيعه، ويتواءم مع وقت الليل المخلوق لأجله؛ ففيه وقت للنوم والراحة، ووقت للتسبيح، ووقت للصلاة، ووقت يقترب الله من عبده ليتقبل منه كل عمله. وكل قسم من أقسام النهار مرتبط بقدرة الإنسان على العمل فيه أو الاستراحة أو العبادة؛ ففيه وقت للعمل، ووقت للعبادة، ووقت لمتطلبات الحياة، وهكذا بين البحث الدلالات السياقية لكل قسم من أقسام الليل والنهار.
- بعد أن سبرنا أغوار الألفاظ والمسميات، وجدنا أن لغة القرآن الكريم عبرت عن كل وقت بمسماه، أو بما يتداخل معه من الأوقات الأخرى القريبة. وحملت اللغة أبعاد الوقت ودلالاتها وأقسامها، وسارت لغة القرآن الكريم على عادة العرب في كثير من الألفاظ، ثم حددت بدقة أكثر دلالاتها وأبعادها، الأمر الذي نطمئن معه إلى الجزم بأن لغة القرآن الكريم معجزة.
- لا غرابة في أن نعرف أشياء، ونجهل أشياء في القرآن الكريم، ولا أخجل حين أقول: إنني أخفقت في إيجاد علاقة واضحة بين أعداد الألفاظ الواردة في القرآن الكريم لليل والنهار، منفردة أو مجتمعة. هذا، والله الحمد والمنة، وبالله التوفيق، والله دائماً أعلم بمراده.

قائمة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم.
- ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل: الأزمنة والأنواء، تح: عزة حسن، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط/2، 2006.

- ابن طوق، عمار: "والعصر" .. قسم له مدلولات عظيمة، مقال على موقع (البيان)، تاريخ الأخذ 2021/3/15، على الرابط: <https://www.albayan.ae/supplements/ramadan/quran/2014-07-19-1.2166881>
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010.
- أبو زيد، فوزي محمد: برنامج أسئلة حائرة على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=SQF5NznfQLA>
- الألوسي، شهاب الدين محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، ب. ت.
- الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط/2، 1395 هـ - 1975 م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، لبنان، ط/2، 2000.
- جرار، بسام: تفسير الآية، على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=3tEjtE9Sic4>
- الحسيني، أبو العباس أحمد بن محمد: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر حسين عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ.
- الدرويش، محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج/5، اليمامة دار ابن كثير دار الإرشاد، ط/3، 1992.
- الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 2008.
- الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين محمد: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، 1972، 131/3.
- الصلابي، علي: "الصافنات الجياد" .. رسالة إعجازية وسبق قرآني في سلوك الحيوان، مقال على موقع الجزيرة، تاريخ الأخذ: 2021/3/15، على الرابط: <https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/25>
- الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد وعصام فارس، مؤسسة الرسالة، ط/1، مج/7، 1994.
- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الريان للتراث، القاهرة، 1987.
- العثيمين، محمد بن صالح: تفسير الآية، على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=yBnPqNriacc>
- العكبري، عبد الله بن الحسين أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1976.
- عوض، إسلام: تُنشط الخلايا بجسم الإنسان. من أسرار صلاة الفجر، مقال على موقع بوابة الأهرام، تاريخ الأخذ: 2021-3-25، على الرابط: <https://gate.ahram.org/News/1831247.aspx>
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/4، 1987.

- القرطبي، محمد بن أحمد بن فرج: الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد عبد العليم البردوني، ط/2، دار الشعب، القاهرة، 1372هـ، 110/9.
- قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، مصر، ط/17، 2004.
- مجد الدين، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، 1410هـ.
- مجموعة: المعاني الجامع، معجم الكتروني، على الرابط: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>
- النابلسي، محمد راتب: الإعجاز القرآني، برنامج تلفزيوني، على يوتيوب، تاريخ الأخذ 2021/3/23، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=O7RvXWcVeR8>
- النجار، زغلول: الليل والنهار في القرآن الكريم، مقال على موقع حراء، تاريخ الأخذ 2021/3/20، على الرابط: <https://hiragate.com>